# رؤية الصغير

خلعته لأنني لم أعد أطيق عشرته !! فقد حول حياتي جحيماً وأيامي علقماً !! ولم أذق معه طعم السعادة والهناء، كما نالته أي امرأة من زوجها !! هكذا بدأت حوارها معي، وهكذا كان أيضاً كلام زوجتي عني، عندما تذكرني أمام غيري لذا فلم أتعاطف معها، وشعرت أن كل النساء وجهين لعملة واحدة !! فإن كنت كريماً عطوفاً معها تحلق بك في عنان السماء، أما غير ذلك فلا تذكر لك ساعة واحدة من هذا الهناء، لذا فلم أرق لتلك الدموع التي تترقرق في عينيها، وهي تقص عليّ أدق تفاصيل حياتها، ونحن جالسان في حديقة النادي الاجتماعي الذي أشارت عليه المحكمة بأن أرى فيه صغيري كل يوم جمعة بينما تلهو حولنا ابنتها جنى التي لم تتعدي الثلاث سنوات، والتي لا تدري بتلك المأساة التي تحياها أمها منذ انفصالها عن أبيها، بينما أنا أرقب الوقت في قلق وتوتر، وأخطف النظرة

تلـو الأخـرى كل حـين في لهفـة واشـتياق نحـو بـاب النـادي، أتشـوق لرؤيـة صغـيري التـي تتفضـل عـليّ جدتـه بالإتيـان بـه في هـذا النـادي، ولكنهـا ضنـت عـليّ بـأن تحـضره منـذ جمعتـين فطـال شـوقي إلى رأيـاه !!

يترصـدني الوقـت ويسـحق الانتظـار صـبري في طاحونـة الظنـون سـاعة بعـد سـاعة بأنهـا لـن تحـضره، ويحملنـي الرجـاء لواحـة الأمـل بـأني سـأراه، فأنتظـر وأنـا أتأجـج عـلى جمـرات القلـق، متوتـراً كنـت وأمنـي النفـس بـأن تـأتي، أرهـف السـمع لوقـع خطواتـه عـلى أمـل أن تـدب وتتوحـد مـع دقـات قلبـى الملهوفـة عليـه، ولكـن في كل مـرة أختلـس النظـرات نحـو البـاب، يكـون طفـلٌ صغـير غـير أبنـي أتـى ليشـهد هـذا الـصراع، الـذي ينشـب بـين الفرقـاء !! وهـي مازالـت تطـن في أذني طنـين ذبابـة مزعجـة، تـروي لي مأسـاتها، بعـد أن فتحـت قلبهـا لي تـسرد حياتهـا وأنـا أتـأسي لحالهـا وأهبهـا بعـض كلماتٍ مقتضبـة !! اليـأس يتـسرب إلى نفـسي المعذبـة مـن هـذا العقـاب الـذي تعاقبنـي بـه خليعتـي، فيمـزق أحشـاء قلبـي ويآلمنـي !! وجليسـتي مـا كفـت دقيقـة عـن الـكلام وهـي تقـارن بـين لهفتـي عـلى رؤيـة صغـيري، وبـين طليقهـا الـذي لا يفكـر في المجـئ لرؤيـة صغيرتـه، والتـي كان مولعـاً بمجيئهـا، وعـزت جفـاءه عـلى صرامـة زوجتـه الجديـدة التـي تمنعـه مـن الحضـور !! نكايـةً فيهـا، وأنـا أنكـوي بالنـار، وأختلـس النظـرات كل

حين متلهفاً لرؤية صغيري، وأعزي عدم حضوره بمرضٍ ألم بجدته كما أخبرتني بذلك عندما اتصلت بها وهددتها بأن تحضره !! فكان لابد من حضوره وإلا كما اشترطت المحكمة ؛ بأن من حقي أن أضمه لرعايتي أن مرت ثلاث جمع ولم ألتقي به !! فهل تآتي به ؟!! أم ؟!! وعادت كلماتها تطن في أذني وهي تقول :« وماذا كنت فاعلةٌ وأنا أراه قد أهمل البيت، وطال مكوثه وبياته خارجه، حتى علمت بأنه قد تزوج بصديقتي، وأنه يغدق عليها الهدايا، ويأتيها بكل ما تشتهيه، وما تود امتلاكه من دون تذمر أو نفور كما كان يفعل معي !!»وبدأ قلبي يميل الهوينى نحوها، واسترخي اهتمامي لسماع شكواها بإصغاءٍ، وعينيّ تشملها بنظرة عطفٍ، ويدي تربت بحنوٍ على يدها الموضوعة على سطح المائدة !!

طار الحنان والعطف اللذين منحتهما لها، كما يطير الطير منزعجاً على قدوم صيادٍ متهجمٍ، عندما هبطت علينا خليعتي من دون إذن، أو سابق إنذارٍ بوجهها المتجهم ولسانها السليط، وهي تقول بحدة وانفعال حاد :« ليك حق يا أستاذ تطلب تشوف الواد كل جمعه، علشان يكون الحجة اللي تشوف بيها الست هانم اللي قاعد تتغزل فيها وهي قاعدة جنب منك هيمانة في سواد عنيك !!»وتبعته بسيلٍ من السباب والألفاظ الجارحة، تهين تلك المسكينة،

وتزيد من عذابها !! وأنا أحاول الدفاع والتبرير بدون فائدة، فتلك مأساة خليعتي الغيرة الحمقاء التي أطاحت بنبل حبنا، ورمت به من علياءه إلى هوة البغض السحيقة، والتي جعلتني لا أطيق حتى سماع صوتها !! وانسحبت جليستي في خزي وانكسار، تتبعها زوجتي بالسباب وباللعنات، بينما الطفلان يتبادلان النظرات في دهشة وحيرة وقد علا صراخهما، وخليعتي لا تكف عن الشجار معي حتى بعد أن طردت جليستى متناسية أنها لم تعد علي ذمتي !!

القاهرة في ١٨ ـ ١ ـ ٢٠١٤

نشرت بجريدة المساء